بسم الله الرحمن الرحيم

اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيدا ..... أما بعد .

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من أهل العلم ومحصليه الذين صحة نياتُهم فيه وصح فيه قصدهم وعقدوا فيه بالطريق التي سلكها أئمة أهل العلم , وهذا الطريق هو الذي يصل من سلكه إلى مبتغاه يحقق العلم فيه من اكتفى سنن أهل العلم في طلبهم وسمعتهم وهديهم وسلوكهم , ثم إننا في فاتحة هذه الدورة العلمية أو هذه الدروس العلمية السابعة في هذا المسجد الذي حمل اسم شيخ الإسلام ومجدد الملة في زمانه , تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبع مائة , إن هذه الدروس لها من الفوائد التي حصلها من التزم فيما مضى , ومن سيحصلها إن شاء الله تعالى من التزم بها فيما بقى ما يعين على أخذ العلم وسماعه والعناية به , ودرسه في أيام قليلة وليال يسيرة إذا نظر إليها الناظر , ولكن بالنظر إلى كثرة ما يلقى فيها من العلم وتشرح فيها من الكتب والمتون , فإن فيها خيراً كثيرا نرجو من الله جل وعلا أن يكتب أجر من ألقى من جميع المشايخ ومن استمع ومن أسهم في ذلك وأعان على نشر هذه الدروس العلمية ونظم لها إنه سبحانه جواد كريم , ثم إننا بين يدي شرح ((كتاب فضل الإسلام)) نقدم بمقدمة مهمة يحتاج إليها كل طالب علم ألا وهي أهمية العلم في دين الإنسان , فالإسلام عظيمٌ أن يكون المرء التزم به , وعظيمٌ أن يكون المرء قد أجهد نفسه , وجاهد نفسه في أن يكون على حقيقة الإسلام , ولكن لن يكون ذاك إلا بالعلم فالعلم النافع به يصلح القلب وبه يصلح العمل , ولهذا قال الله جل وعلا [**قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**] ومعنى على بصيرة يعنى على علم لأن البصيرة للقلب هي العلم الذي به يبصر حقائق المعلومات

ويدرك الصواب فيها , وقال الله جل وعلا [**أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس**] وقد قال أهل العلم أن هذا النور هو الإسلام الذي هو العلم النافع والعمل الصالح , ولهذا لم يأمر الله جل وعلا نبيه ε وأُمته من بعده أن يزدادوا من شيئاً شيئا إلا أن يزدادوا من العلم , فقال جل وعلا في سورة طه [**وقل ربي زدني علما**] رفع الله أهل العلم على سائر المؤمنين لما حصلوه من العلم . فقال جل وعلا [**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات**] فكل مؤمناً يرفعه الله جل وعلا بإيمانه وكلُ صاحب علم صحيح من أهل الإيمان فإنه مرفوع على غيره درجات , وهذا من فضل الله جل وعلا على أهل العلم وطالب العلم إذا سلك بهذا الطريق فإن الله يسهل له به طريقاً إلى الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح ((ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) وذلك أن طريق الجنة يكونُ بصحة الاعتقاد , ويكونُ بصحة العمل , وصحة الاعتقاد لا تكونُ إلا بعلم . وصحة العمل لا تكونُ إلا بعلم فمن سلك طريقاً يلتمسُ فيه علماً من علم التوحيد أو علم الفقه والحلال والحرام سهل الله له به طريقاً إلى الجنة لأن الجنة من أسباب دخولها صحة العمل , وصحة الاعتقاد , ومن فضل العلم أن العالم يستغفر له كل شيء , العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف الماء لأنه سبح وهلل ومجد الله وعظم وأثنى عليه وسار في اتباعه لمحمد عليه الصلاة والسلام عن يقينٍ وعلماً ومعرفة , وهذا يكونُ به الكمال , كمال المخلوقات فيكونُ أولى المخلوقات بالفضل والرفعة والقربى من الله جل وعلا , لهذا تعرف الأشياء فضل طالب العلم , وفضل العالم فيستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف الماء , ثم لأن كل هذه الأشياء التي جعلها الله جل وعلا غير مكلفة تعرف فضل العالم الذي يعلم الناس الخير والذي يبثُ في الناس محبة الله جل وعلا والعلم به , وأسمائه وصفاته وما يستحقه جل وعلا

من التوحيد , وما يستحقه جل وعلا من التعظيم وما يستحقه نبيه ε من المحبة والمتابعة والعلم بسنته والإقتداء به فحينئذ يكون ممن ينشروا في العالم محبة الله Ψ والعلم به , وهذا شيء يفضل به العالم ما سواه من الكائنات بهذا يستغفر له كلُ شيء رضاً بما يصنع حتى الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع لعظيم عمله , لهذا إذا علمت بعض هذه الأشياء فإنك تقبل إقبالا شديداً على العلم في حفظه وتدارسه , وحضور حِلق العلم ومعرفة ذلك لأن هذا لا يرغب فيه إلا مؤمناً صحيح الإيمان ولا يرغب عنه إلا مُفرط , وكل من جاهد نفسه في العلم فإنما يجاهد نفسه في صلاح قلبه , وصلاح عمله , والعالم أو طالب العلم إذا أذنب فإن استغفاره ليس كاستغفار سواه , لأنه إذا استغفر فيكونُ استغفاره عن علم وبينة وعن معرفة بالله جل وعلا وما يستحق , ومعرفة بقصور نفسه وبما أرتكبه وما قصر فيه , لهذا كان سيد علماء هذه الأمة بعد نبيها ε هو أبو بكر الصديق τ فعلمهُ نبينا ε أن يدعوا في صلاته بقوله ((الله إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم)) فجعل هذا الدعاء لأبي بكراً الصديق وهو الأكمل علماً وعملاً وسلوكاً وسابقتاً ومحبتاً للنبي ε وخُلة فجعل له هذا الدعاء الذي فيه أعظم الاستغفار والإنابة من جهة عظمِ الاعتراف بالذنب (ربي إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت)) وكل طالب علم وعالم بقدر معرفته بالله وعلمه بالله Ψ وعلمه بتفاصيل الشريعة , وعلمه بتفاصيل حق الله في الاعتقاد فإنه يعظمُ عنده الذنب بل تكون عنده بعض الأعمال مما يُوجب الاستغفار ولو كانت عند غيره ليست مما يُوجب الاستغفار , ولهذا تُعظم درجة طالب العلم والعالم بقدر ما اكتسبه من علم التوحيد , وعلم العمل في عظم استغفاره وإنابته لله Ψ وفي هذا الزمن ربما ترون أن كثيرين أساءوا ظناً بالعلم من جهةٍ بل من جهات , أساءوا ظناً بالعلم في ظن بعضهم أن العلم لا فائدة مرجوة

منه بقدر ما يبذل فيه الباذل , ومنهم من أساء ظناً بالعلم في أنه إذا تعلم فإنما سيكون في نهايته مثل غيره , ولن يكون له من الأثر الشيء الكبير الذي يوازي تعبه في العلم , ومنه من أساء الظن بالعلم في أن الأهم هو الدعوة للناس والإرشاد والبذل ونحو ذلك , والعلم ليس في الأثر كأثر النشاط والدعوة ونحو ذلك , ومنهم من أساء ظناً بالعلم في أن العلم لن يكون لأصحابه شأن , وأن الشأن إنما هو لغيرهم , إما من أهل الدنيا , وإما من أهل الاتجاهات المختلفة في هذه الحياة وهذا كله هذه الأشياء جميعاً من سوء الظن بالشريعة لأن العلم هو الشريعة . والواجب على طالب العلم أن يحسن ظنه بالله جل وعلا , وأن يحسن ظنه بحمله للعلم , وأن يحسن ظنه بالعلم والعمل جميعاً وأن يقبل على ذلك , ولقد أحسن ابن القيم رحمه الله تعالى إذ يقول .

والجهل داء قاتلٌ وشفاه أمران في التركيب متفقان

نصُ من القرآن أو من سنةٍ وطبيبُ ذاك العالم الرباني

والعلم أقسامه ثلاثة ما لها من رابعٍ والحق ذو تبيتانٍ

علمٌ بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للديان

والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاء يوم المعاد الثاني

والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان

والله ما قال امرؤ متحذلقُ بسواهما إلا من الهذيان

وقد قال أحد العلماء أيضاً في منظومة له بل في شعراً له

لا تسئ بالعلم ظناً يا فتي إن سوء الظن بالعلم عطب

وهذا حق فإننا جربنا ورأينا في أن كل من أساء ظناً بالعلم وتخلف عن سبيل حملت العلم ودرس ثم انتهى , درس ثم ترك ولم يستمر في العلم إلا كان أمره إلى غير كمال فالعلم به كمال الروح , به كمال الاعتقاد , به كمال العمل , به كمال انشراح

الصدر , به كمال رؤية الأشياء , به كمال الأمل في ألا يتصرف شيءً إلا على وفق الشريعة , وقد ذكر أهل العلم أن من أسباب ضلال الضالين من هذه الأمة أنهم ضلوا لأنهم لم يكونوا على علمٍ صحيح , فالعلم الصحيح سبب من أسباب وقاية الفتن ووقاية أسباب الضلال والافتراق إلى غير ذلك من أثارٍ ترك العلم , بهذا أوصيكم ونفسي بالمحافظة على العلم وعلى حمله وحفظه وتدارسه , وأن يتعاهد المرء ما درسه , وأن يقبل على ما لم يعلمه بأخذه عن مشايخه الذين يُوثق بهم في فهمهم للعلم وفي أدائهم له بأن هذا به إن شاء الله تعالى صلاح النفس , وصلاح العمل . أسأل الله جل وعلا أن يزيدنا وإياكم من الهدى والعلم وأن يجعلنا من عباده الصادقين المخلصين وأن يغفر لنا ذنوبنا إنه سبحانه جواد كريم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمداً وعلى آله وصحبه أجمعين قال المصنف رحمه الله تعالى كتاب فضل الإسلام , قال رحمه الله تعالى : (**باب فضل الإسلام وقول الله تعالى [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا] وقوله تعالى [قل يا أيها الناس أن كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم... الآية] وقوله تعالى [يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتيكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم] وفي الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ε قال ((مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل لي من غدوت إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط فعملت النصارى ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب**

الشمس على قيراطين فأنتم هم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : ما لنا أكثرُ عملاً وأقل أجرا قال : هل نقصتكم من حقكم شيئا قالوا : لا قال : ذلك فضلى أُتيه من أشاء . وفيه أيضا عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ε : ((أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهودِ يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة وكذلك هم تبعاً لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة)) وفيه تعليقاً عن النبي ε أنه قال : ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)) وعن أبي بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قال : ((عليكم بالسبيلِ والسنة فإنه ليس من عبد على سبيلٍ وسنة ذكر الرحمن ففاضة عيناه من خشية الله فتمسه النار وليس من عبداً على سبيلٍ وسنة ذكر الرحمن فقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرةٍ يبس ورقها فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عناها ورقها إلا تحاتة عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها وإن اقتصادا في سبيل وسنة خيراً من اجتهاد في خلاف سبيلٍ وسنة . وعن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال : يا حبذ نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ولم يفقهوا ذرةٍ من برٍ مع تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجحُ من أمثال الجبال عبادةً من المغترين).

الحمد لله وبعد هذه الرسالة , رسالة فضل الإسلام للإمام المجدد شيخ الإسلام أبي عبد الله وأبي علي محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر والباعث للمسلمين فقههم في دينهم وتوحيدهم هذه الرسالة من الرسائل المهمة التي كتبها الإمام المجدد عليه رحمة الله وسمها فضل الإسلام لأنه أول بابِ في هذه الرسالة ووجه أهميه هذه الرسالة أن هذه الرسالة تعتبر رسالةً في المنهج الذي يتميز به حملة التوحيد , وأتباع

السلف الصالح بعامه كما أنها تبين كثيراً من المباحث والمسائل المتصلة بالواقع العملي للدعوة ومخالطة المسلم المتبع لطريقة السلف لي الناس من جميع الاتجاهات ومن جميع الأفهام والأهواء ففيها بيان تفسير الإسلام وفيها بيان فضل الإسلام , وفيها بيان البدع وأن البدع أشد من الكبائر , وفيها بيان معانٍ الانتماء الحق وإبطال أنواع الانتماء المحدثة وفيها تفصيل المنهج من حيث الأولويات , الاهتمام بالسنة ورد البدع وفيها ما يتصل ببحث الألقاب والشعارات التي قد يتسمى بها أو قد يرفعها بعضهم , وبيان حكم ذلك , وفيها بيان أن الإسلام واجب أن يدخل فيه كله وألا يفرق بين أمر وأمر فيه من حيث وجوب الدخول فيه والإيمان بذلك فهي رسالةً تعدُ رسالة منهج يميزُ المتبعين للسلف الصالح أهل التوحيد وحملة العقيدة وقد ألفها الإمام المجدد رحمه الله لسد هذا الثغرة العملية التي أدركها من واقع معاشرته بل من واقع قيادته للمؤمنين في الدعوة , وفي العلم حيث ظهر له ضرورة تبين هذه المسائل لكن على طريقته رحمه الله في أنه إنما يذكر الباب ويذكر تحته الآيات والأحاديث التي تدل على ذلك , وبعض أقوال السلف , وهذه منهجية في التأليف اعتمدها في كثيراً من أو في الأكثر من مؤلفاته رحمه الله تعالى , ومن أوجه الاهتمام بهذه الرسالة فضل الإسلام أنها لم تشرح من أبناء الشيخ رحمه الله , ولا من تلاميذته القربين منه كما شرحت رسائل أخرى وبينت وفصلت ككتاب التوحيد , وكغيره من الكتب والرسائل والنبذ التي كتبها عليه رحمه الله والحاجة في كل زمان قائمة إلى هذه المعاني التي اشتملت عليها هذه الرسالة , لهذا كانت العناية بها مهمة وقد سبق لي منذ بضع سنين أن شرحت هذه الرسالة في مجالس كثيرة , واشتمل ذلك الشرح على أطنابِ في بعض الأبواب وعلى اختصار في بعضها ونرجو إن شاء الله تعالى أن يكون هذا الشرح مشتمل على مقاصد الكتاب على إيضاحات مهمة تفهم مقصود المعلم وتقرر المنهج السلفي , ومنهج أهل التوحيد في هذه المسائل وتقرر ما يتميز به

حملت السنة عن غيرهم في الاعتدال في القول والاعتدال في العمل والنظر الصحيحة للأمور وفق السنة لا وفق الأهواء المختلفة , قال رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . ((باب فضل الإسلام)) فضل الإسلام يريد به أموراً : الأول : فضل الإسلام في نفسه على غيره من الملل والإسلام يشمل الدين كله بمراتبه المختلفة . الإسلام , والإيمان , والإحسان . ويشمل أيضاً الدين كله من جهة العقيدة والشريعة والسلوك والجزاء ونحو ذلك , فالإسلام في نفسه فضل غيره وصار مفضلاً على غيره بتفضيل الله جل وعلا .

الأمر الثاني : أن فضل الإسلام على أهله الذين اعتنقوه ودخلوا فيه واستقاموا عليه ظاهرٌ في الدنيا والآخرة في النصوص فيبين المؤلف بعضاً من النصوص التي تدلُ على فضل الإسلامِ على أهل الإسلامِ , وأثار الإسلام المباركة على عباد الله المؤمنين .

الأمر الثالث : أن الإسلام تحمله أمة وهذه الأمة لأجل حملها للإسلام صارت مفضلةً على غيرها , وصارت خيراً من غيرها كما قال تعالى [**كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس**] سبك الآية كنتم للناس خير أمة أخرجت , وذلك لفضل هذه الأمة في نفسها بما حملت من الدين ولفضلها على غيرها من الأمم , ثم فيه فضل الأمة الوسط من هذه الأمة على سائر فرق هذه الأمة , فأمة الإسلام افترقت على فرق إلى فرق كثيرة وكلها في النار إلا واحدة , وهذه الواحدة هي الجماعة وهى التي أخذت بالدين الوسط , يعنى بالدين المتيقن منه العدل الخيار قال جل وعلا [**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**] يعنى عدلاً خيار , عدلاً خيار لوسطيتها فبي العقيدة بين الغاليين وبين الجافين , ولوسطيتها في الأحكام بين الغاليين والجافين ولوسطيتها في السلوك بين الغاليين والجافين , ولوسطيتها في أنواع التعامل مع الخلق بين الغاليين والجافين , لهذا صارت هذه الأمة الوسط من أهل الإسلام صار لها من الفضل المزيد فإذا كان لأهل الإسلام عامة كأمةٍ فضل خاص بينته الآيات

والأحاديث فكذلك أحر الناس في أخص الفضل وأعلى الفضل هم أهل التوحيد والسنة الذين أخذوا بطريقة الجماعة الأولى , لهذا ثبت في الصحيح أن النبي ε قال : ((أنتم موفون سبعين أمةً أنتم خيرها وأكرمها عند الله)) وهذا من فضل الله العظيم , لهذا بين رحمه الله في هذا الباب وهذا الكتاب بعامه ما يتصل بتقرير هذه المسائل وبيان أنواع الفضل في الدنيا والآخرة في العقيدة والشريعة وأهل الإسلام وما يتميز به القرآن والسنة من الفضل على أهله المتمسكين به بأنواع الفضل مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . قال رحمه الله وقول الله تعالى [**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**] في قوله وقول الله تعالى يصح فيها الوجهان بالجر عطفاً على فضل يعنى باب فضل الإسلام وباب قول الله تعالى والرفع ابتداءً وقول الله تعالى [**اليوم أكملت لكم دينكم**] على نحو ما مر معنا في شرح كتاب التوحيد قوله جل وعلا [**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**] هذه الآية نزلت والنبي ε قائم في عرفه في يوم جمعة بين الله جل وعلا فيها أنه Ψ أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضى لنا الإسلام دين , وإكمال الدين يعنى أن هذا الدين وهو دين الإسلام بعقيدته وبشريعته وبمصادره من الكتاب والسنة , وما دل عليه الكتاب والسنة من الأدلة أن هذا قد أكمله الله جل وعلا فأكمل لنا الدين فلم يعد فيه زيادة لمستزيد , وهذا من مفضل الإسلام أن غيره من الملل لم تكن كاملةً بل كان الناس بعدها يحتاجون إلى أشياء فلا يجدونها فجعل الله جل وعلا هذا الدين كاملاً حتى لا يكون فيه زيادة لمستزيد , وقد كان من قبلنا دخلوا في كثير من البدع وكثيرٍ من السلوكيات عن جهل منهم تارة وعن علمٍ تارة لكن في الإسلام وفي دلائله من الكتاب والسنة فيه من بيان الأصول التي تدل على كمال الدين , وعلى أن أصول الدين وعقائد الملة أنها ظاهرة بينة واضحة ما تجعل أهل الإسلام في أمنه أن يكونوا

ضالين عن الحق كما ضل من قبلنا أو يكونوا زائغين عن عدم علمه به فالعلم به ظاهر وإكمال الله لنا الدين بين فلذلك مّن الله على الناس بهذا الإكمال حيث قال [**اليوم أكملت لكم دينكم**] **قال** [**وأتممت عليكم نعمتي**] والنعمة نوعان : نعمة دينية , ونعمة دنيوية , والإسلام له فضل في الجهتين فمن الجهة الدينية : الإسلام بمصادره من الكتاب والسنة فيه البيان لما يحتاجه الناس في أمر دينهم بحيث لا يلتبس من أراد الحق , لا يلتبس الطريق على من أراد الحق وفيه أيضاً فضل على هذا الإسلام في النعمة الدنيوية لأن الله جل وعلا وعد من تمسك بالإسلام أنه يكونُ في حياةً طيبة كما قال جل وعلا [**من عمل صالحاً من ذكرً أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**] والحياة الطيبة تشمل الطمأنينة في هذه الدنيا وتشمل الأمن , وتشمل سعة الرزق , وتشمل الرضا ونحو ذلك مما لا تكون الحياة الطيبة إلا به ولا يكونُ الاطمئنان والعيش الرغد إلا به مهما كثر المال أو كثرة زخارف الدنيا فلا تستقيم إلا بالطمأنينة والرضا والأنس بالله Ψ هذا كفلها كفلها الدين لأهله لأهل الإسلام قال [**ورضيت لكم الإسلام دين**] والإسلام إذا رضيه الله جل وعلا للعباده ديناً فمعنى ذلك أنه سبحانه وتعالى يرضى عمن أخذ بهذا الإسلام ويرضى عمن استقام على الإسلام ودخل فيه وإذا كان كذلك فأهله مرضيٌ عنهم وإذا كانوا مرضيٌ عنهم من الله جل وعلا فهم إذاً مخصوصون بتوفيق الله جل وعلا ومعيته الخاصة قال سبحانه [**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**] ومعية الله جل وعلا المعية الخاصة هي لمن رضي عنه فمن رضى عنه قولاً وعملاً وذلك لتمسكه بالإسلام اعتقاداً وعملاً فإنه يحظى بالمحبة من الله Ψ والتوفيق والهدى وهذه كلها فيها من الآثار في الدنيا والآخرة ما لا يدخل تحت حصر إذاً دلت الآية كما هو مراد المؤلف رحمه الله أن الإسلام كمل وأن الله أتم علينا النعمة الدنيوية والدينية وأنه رضى الإسلام دينا ورضى عن أهله الذين أخذوا

به , وهذا من محبة الله Ψ للإسلام لهذا الدين ومن فضل الدين على أهله أنه كان سبباً في فضل الله جل وعلا ومحبته وإنعامه وإكماله الأمر بأهل الإسلام , وإذا تأملت في غيرنا فإنك ستجد أن الله جل وعلا لم يمنحهم من الفضل كما منح هذه الأمة , ولهذا وجب على المؤمن أن يتبين فض الله جل وعلا عليه وألا يمنّ على الله بعمله أو لا يمنّ على الله جل وعلا بعبادته وبسلوكه فإن الله جل وعلا هو صاحب المنّة لو كانوا يعقلون .

وفي الآية من الفوائد أولاً أن قوله جل وعلا [**اليوم أكملت لكم دينكم**] أن الإكمال شمل الدين كله , والدين ينقسم في أحد الاعتبارات إلى عقيدة وشريعة وإكمال الدين , يعنى إكمال العقيدة وإكمال الشريعة , والعقيدة لها وسائل لإثباتها والعلم بها وإثبات الغاية إثباتٌ للوسيلة فإثبات كمال الغاية وإثباتُ كمال الوسائل ففي الآية دليلاً على أن وسائل تقرير العقيدة والشريعة قد أكملها الله جل وعلا بما دل عليه في الكتاب والسنة من الأدلة النصية أو الأدلة الأخرى التي دل عليها القرآن والسنة ، فعقيدة الإسلام أكملها الله فلا يمكن أن يكون في غير الكتاب والسنة من الدين ما هو أكمل مما فيهما ولهذا بطل قول الفلاسفة وأهل الكلام وأهل الفرق بعمومها في أنهم راموا الكمال في طرق عقلية أو فلسفات كلامية راموا الكمال فيها فأخذهم النقص حتى قال قائلهم طريقة السلف أسلم لكن طريقة الخلف أعلم وأحكم ويريدون أيضاً أكمل وهذا دلت الآية على بطلانه لأن إكمال الدين لا يكون إلا بإكمال وسائل إثباته وإذا كانت وسائل إثباته كاملة فإن الطرق المختلفة التي أحدثت وسائل أخرى إنها ظاهرة البطلان .

الفائدة الثانية : قوله جل وعلا [**رضيت لكم الإسلام دينا**] في قوله لكم ما يدل على أن الإسلام الذي رضى هو الإسلام الخاص الذي صار سمة هذه الأمة وإلا فكلمة الإسلام تشمل رسالة كل رسول لأن كل رسول بعث بالإسلام لكن في

قوله [لكم] ما يدل على أن الإسلام الذي رضيه الله جل وعلا هو الإسلام الخاص الذي من لم يدخل فيه فإنه ليس بمسلمٍ بعد مجيء النبي ε وأما قبل ذلك فمن أسلم الإسلام الذي أمر به الرسول الذي جاء فإنه يكونُ مسلماً مرضياً ولكن بعد بعثة النبي ε فإنه لا إسلام إلا الإسلام الخاص وهذا يشمل مراتب الدين الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان والدين هو كل ما يدين به الناس ويجعلونه إلفاً لهم وديداناً لهم وهو في أصله مأخوذ من الديدن هذا ديدنه يعنى هذا ما اعتاده وألتزمه دينته يعنى التزمته والدين ثم بذلك لأنه ملتزم والدين كذلك هو الطريقة الملتزمة فإذا اعتقد شيء والتزم صار له ديناً وإذا عمل بشيء وسلكه صار له ديناً حتى تصير الأنظمة التي تُلتزم في اللغة تسمى ديناً كما قال الله جل وعلا في قصة يوسف عليه السلام [**ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك**] سمى طريقة الملك في الأحكام في مسألة السرقة وأن الذي سرق يأخذ أسيراً أو رقيقاً عقاباً له على سرقته سماه الله جل وعلا ديناً لأنه التزام لحكمٍ في كل حال , لهذا صار الدين دين الملك في قصة يوسف هو ما التزمه الملك في رعيته حين ذاك من الشرائع إذا كانت الشريعة مخالفة لشريعة الإسلام يصح أن يقال لغةً إن هذا دين كذا لأنه يدان به ويلتزم فإذن في قوله [**رضيت لكم الإسلام دينا**] أن كل التزامٍ يلتزمه الناس في أمور العقائد أو في أمور الشرائع والأحكام والأقضية أو في أمور السلوك أو في أمور الدعوة والمنهج إذا التزموه ويكون ليس مدلولاً عليه بنص القرآن أو بنص السنة أو بما حكم به السلف أو أئمة الإسلام فإنه بدلالة الآية يمكن أن يقال إن الله لم يرضه ديناً لأنه ما رضى ديناً إلا دين الإسلام على النحو الذي أوضحنا , قال رحمه الله بعدها وقوله تعالى [**قل يا أيها الناس إن كنتم في شكٍ من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم**] مناسبة الآية ودلالتها أن الإمام المصلح رحمه الله تعالى يريد أن الدين والإسلام له فضل على أهله الذين

اتضحت لهم فيه معالمه حيث إنهم يسلمون من براثم الشهوات , براثم الشبهات وهى أعظم وإذا وردت الشكوك فإن صاحب الدين يسلموا من التردد فيها فيكون حينئذ عنده البصر النافذ والبصيرة التامة عند حلول الشبهات وعند حلول الشكوك لهذا قال جل وعلا [**قل يا أيها الناس إن كنتم في شكٍ من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله**] إذا وقعت الشكوك من أهل الشرك أو أهل البدع أو أهل الضلالات وأوقعوها لدى المؤمن وعرضوها عليه فإن من فضل الإسلام على المؤمن على المسلم إذا علم وتمسك به وصار له بهم نوراً في قلبه أنه لا يتأثر بتلك الشبه ولا يتأثر بتلك الشكوك كما كان إمامنا عليه الصلاة والسلام قوياً فيما واجه به المشركين حيث قال لهم [**يا أيها الناس إن كنتم في شكٍ من ديني**] يعنى من دين الإسلام والتوحيد الذي جئت به [فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله **ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم**] أعلن كلمة التوحيد لا إله إلا الله التي فيها النفي وفيها الإثبات وهذا من فضل الإسلام على أهله أن صاحب الإسلام الذي علم دين الإسلام بالأدلة وعلم العقيدة فتبين له التوحيد واعتقد ذلك عن علمٍ وبينةٍ وبصيرةٍ ويقين أن الله جل وعلا يحميه عند حلول الشبهات عند حلول الشكوك فلا يتردد ولا يزيغ ومن أعظم أسباب الزيغ أن ترد الشبهة فلا يجد ما يرد به تلك الشبهة لكن كل ما قوي الإيمان كل ما قوى الإسلام والعلم بتفاصيل الإسلام في عقيدته وشريعته فإن المرء يكونُ قوياً معتزاً بالإسلام لا تأثر فيه شبهة وإذا عُرض له شك أو عرض له عارض بشبهة أو شكٍ أو ريب فإنه يرده بقوتهٍ , وهذا من أثار وفضل الإسلام على أهل الإسلام أن الله جل وعلا يثبتهم وأن الله جل وعلا يقذف في قلبهم النور وأن الله جل وعلا لا يكلهم إلى أنفسهم بل يعينهم ويسددهم عند حلول الشبهات , وهذا مجرب واقع فإنما صمد في كل زمنٍ عند حلول الفتن إنما صمد أهل العلم بالإسلام وأهل العلم بالشريعة أهل العلم بالعقيدة والسنة فإنهم صمدوا ونفعوا

وكان لهم الأثر على أنفسهم وعلى الأمة في كل زمان ومكان , ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه قال ولعلماء الحديث وحملته في كل زمان من العلم بالدين , ومن القوة عند حلول الشبهات يعنى معنى كلامه ومن القوة عند حلول الشبهات ما يفضلون به غيرهم حتى إنك تجد عندهم من اليقين والعلم التام عند حلول الشبه على الإسلام والسنة ما يتعجب منه المرء لكن هذا بفضل الله جل وعلا وبرحمته وكذلك من كان معهم في حمل الحديث والسنة والعناية بذلك فإن الله جل وعلا يقوى يقينهم ويُعظم معرفتهم وعلمهم حتى يكونوا ثابتين أقوياء عند حلول الشبهات وعند ورود الشكوك والريب أو كما قال رحمه الله تعالى هذا معنى كلامه فإذن دلت الآية على أن الإسلام له فضل على أهله فضل عظيم في أن المسلم إذا استمسك بالتوحيد وأسلم الإسلام الكامل لله جل وعلا فإنه تقوى عزته ويقوى يقينه فلا يلفته حين إذن عن دينه لافت ولا يصرفه عن دينه صارف , بل يثبته الله جل وعلا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة , ثم قال رحمه الله , وقوله تعالى [**يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتيكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم**] في هذه الآية مناسبة عظيمة لفضل الإسلام وهو أن الله جل وعلا خاطب المؤمنين بأنهم إن حققوا الإسلام بما يشمل المراتب الثلاث إن حققوا الإسلام واتقوا الله وأمنوا برسوله فإن الله جل وعلا يتفضل عليهم لأجل هذا التمسك منهم ولأجل استعصامهم بالله جل وعلا واعتصامهم بحبله ودينه المتين , فإن الله جل وعلا يمنّ عليهم بثلاثة أنواع من الفضل :

الأول : أنه يأتيهم كفلين من رحمته وهذا كما قال هنا [**يؤتيكم كفلين من رحمته**], والكفلين يريد بها الحظين يعنى يؤتكم حظين عظيمين من رحمته , وهذان الحظان العظيمان تشمل الأجر بأن الله جل وعلا يضاعف الأجر للمؤمن

فكل مسلم يؤتيه الله جل وعلا أجره مرتين , يعنى يضاعف له الأجر والثواب مّنة من الله جل وعلا وتكرم , وأيضاً يؤتيكم كفلين من رحمته يشمل الرحمة التي يقوم بها الحياة رحمة الدنيا وأيضاً رحمة الآخرة فلا أحد يسلك في الدنيا طريقاً إلا وهو محتاج إلى رحمة الله جل وعلا قال [**يؤتيكم كفلين من رحمته**] وكذلك الآخرة لا أحد ينجوا فيها إلا برحمة الله جل وعلا , فإذا شملت الآية أن الله جل وعلا تفضل على أهل الإسلام بأنه يؤتيهم كفلين من رحمته رحمة الدنيا ورحمة الآخرة .

الفضل الثاني : قال [**ويجعل لكم نوراً تمشون به**] والنور الذي يمشون به هو نور العلم , واليقين والبصيرة , وقد دارت تفاسير السلف على أن النور الذي يمشى به , هو نور العلم واليقين والبصيرة فإذا استقام المرء حقيقة على الإسلام وجاهد نفسه في تقوى الله والإيمان برسوله فإن الله جل وعلا يمنحه العلم بتهيئة سبله له وبمحبة أهله وبسماع كلامهم فيجعل له نوراً يمشى به وها هنا وقفه في أن الله جل وعلا من أسمائه النور , والنور في أسمائه جل وعلا له أثر في الشريعة في أن الله جل وعلا جعل رسوله ε نوراً وجعل الكتاب الذي هو القرآن نوراً وجعل في قلوب المؤمنين أيضاً في العلم نورا قال جل وعلى [**قد جاءكم من الله نورٌ وكتابُ مبين**] والنور هنا في أحد التفسيرين هو الرسول ε بأنه عطف عليه الكتاب أو على القول الثاني أنه الكتاب لكن نوع وصفه , والنور هذا الذي يقذفه الله جل وعلا في القلب هذا لا يكون إلا لأهل الإسلام فكل مؤمن له حظ من هذا النور , لكن إنما يعظم هذا النور بعظمة تحصيل الإسلام والاستقامة عليه عقيدة وشريعة لهذا كلما قوى أخذ الإسلام كلما قوى العلم في الشريعة كلما قوى العلم بالاعتقاد كلما قوى العلم بالله جل وعلا كلما زاد هذا النور في القلب وإذا زاد النور في القلب فإنه يبصر به في الظلمات , ظلمات الشبهات وظلمات المسائل التي قد ترد على الإنسان في حياته , وتسمية الله جل وعلا له نوراً في قوله [**ويجعل لكم نوراً**

تمشون به] في قوله به , تمشون به يعنى تمشون بهذا النور في الظلمات فإن هذه الحياة ما فيها من شبه وما فيها من شهوات وما فيها من صوارف أشبه ما تكون بالظلمة , لهذا يحتاج فيها إلى النور وكل ما قوى النور قوى إبصار الطريق , ومن أثار ذلك أن أهل الإسلام المستمسكين به والمستمسكين بطريقة السلف والذين أخذوا بالإسلام والسنة على نحو ما سيوصف في هذا الكتاب بالأدلة على أن كل من قرب منهم فإنه سيبصرُ من النور بقدر قربه منهم , وكل ما بعد منهم كلما ضعف عنه النور وله النور بقدر بعده عنهم وقد نبه على ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد في أن من آثار النور الذي يقذفه الله جل وعلا في قلب أهل التوحيد والسنة أن من قرب منهم صار له من النور بقدر قربه ، قربه منهم حيث يبصر به صواب الطريق ، لهذا تجد العامي من أهل التوحيد ممن لم يتعلم العلم عنده من النور والبصيرة في كثير من المسائل في العقيدة ، في التوحيد وفي السلوك ما يبصر به طريق الظلمات لأنه وإن لم يكمل عنده العلم أو يكون على علم لكن لقربه من أهل هذا النور فإنه يحصل له ذلك وهذه قاعدة مهمة في سبيل المنهج في أن الالتحاق بأهل العلم والقرب من أهل الاستقامة على الإسلام والسنة وطريق السلف الصالح كلما قرب العبد منهم ومن طريقتهم كلما منحه الله جل وعلا النور الذي يبصر به ولا يضل به السبيل .

أما الفضل الثالث في هذه الآية في قوله تعالى **[ويغفر لكم والله غفور رحيم]** فمن فضل الإسلام على أهله أن الإسلام بتحقيقه سبب عظيم من أسباب المغفرة فالله جل وعلا وعد كل مسلم ومسلمة وعد كل مؤمن ومؤمنة أن يغفر الله جل وعلا لهم قال سبحانه **[إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات]** إلى قوله في آخر الآية **[والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما]** وكل موحد قد وعده الله

جل وعلا بالمغفرة فالمغفرة يحظى بها مغفرة الذنب يحظى بها أهل الإسلام لهذا منّ الله جل وعلا على أهل الإيمان على أهل الإسلام بأن جعل الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر ورمضان إلى رمضان والعمرة إلى العمرة وكذلك الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) وهذا ونحوه من أثار مغفرة الله جل وعلا لعباده المؤمنين لأنهم استقاموا على الإسلام فهذا من فضل الإسلام عليهم أن كان أخذهم للإسلام سبباً من أسباب مغفرة ذنوبهم فأعظم سبب وأعظم وشيحة للمغفرة أن يستقيم المرء على الإسلام وكلما كان أقوى في الاستمساك بالإسلام والسنة والبعد عن الشرك فإنه يكونُ أقوى في الآتيان بسبب المغفرة لهذا جاء في الحديث أن الله جل وعلا يقول ((يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة)) يعنى بمليء الأرض خطايا فإن الله جل وعلا يأتي بقرابها مغفرة , بهذا نقول دلت الآية على أن المؤمن إذا اتقى الله وأمن برسوله وحقق ذلك الإسلام والتزم بالسنة بإيمانه برسوله حق الإيمان والاستقامة على سنة والاقتداء بهديه عليه الصلاة والسلام والبعد عن كل ما يخالف سنة فإنه موعود بهذه الفضائل الثلاث العظيمة أنه يؤتي أجره مرتين بل يؤتي كفلين عظيمين وحظين كبيرين من رحمة الله جل وعلا لعبده وأنه يجعل الله له نوراً يمشى به فلا تلتبس عليه الطرق ولا يشتبه عليه السبيل وأن الله جل وعلا يجعل له في كل ذنب مغفرة ورحمة منة منّه جل وعلا وفضلاً وتكرماً , هذه الآية قد ذكر فيها الكثير من المفسرين أنها نزلت في أهل الكتاب وأن المراد بها أهل الكتاب يعنى من اليهود والنصارى , وأن هذه الأمة تدخل فيه لأنها أحق بهذا الوصف وهو الإيمان والتقوى والإيمان بالرسول ε لكن هذا فيه نظر من جهتين .

الجهة الأولى : أن الله جل وعلا قال في آخر الآيات في سورة في الآية التي بعدها في سورة الحديد [**لِ ألا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله**] وهذا يدل على أن المراد بقوله [**يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله**] غير المراد بأهل الكتاب .

الثاني : أن أهل الكتاب وعدهم الله جل وعلا أنهم إذا أمنوا وأتقو وأمنوا برسوله وأحسنوا إسلامهم أن الله جل وعلا يأتيهم أجرهم مرتين , كما جاء في سورة القصص , وكما جاء في قول النبي ε ((ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين وذكر منهم رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أمن بمحمد ε)) فهذا يؤتى أجره مرتين فأهل الكتاب إذا استقام وأمن وأسلم فإنه يؤتى أجره مرتين لكنهم ليسوا هم المقصودين بهذه الآية . التنبيه الثاني : أن في قوله جل وعلا [**ويجعل لكم نوراً تمشون به**] النور كما ذكرت لك يعبر عنه في التفسير بعدة تعبيرات فتارةً يعنى في مواضعه من القرآن تارةً يقال . النور هو القرآن وتارةً يقال . النور الإسلام وتارةً يقال . النور السنة ونحو ذلك وكلها تفاسير صحيحة , لأن الجميع نور كما وصف الله جل وعلا الإسلام بأنه نور وأن القرآن نور وأن نبيه ε نور إلى أخره , إذا تبين هذا بعد هذه الآيات فيظهر مما سبق أن الله جل وعلا إذ جعل الإسلام مفضلاً على غيره , وجعل أهله مفضلين على غيرهم , وجعل هذه الأمة مفضلةً على غيرها وهذا يعنى أن تبعه بهذا التفضيل عظيمة لأنه كلما عظم الفضل كلما عظمت التبعة , لهذا قال الله جل وعلا في وصف هذه الأمة [**كنتم خير أمةً أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتأمنون بالله ولو أمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم**] فالقرآن هو أفضل الكتب لأسباب والنبي ε هو أفضل الأنبياء والمرسلين لأسباب جاءت في الكتاب والسنة يعنى أسباب هذا التفضيل . وهذه الأمة أفضل بنص الكتاب والسنة كما مر معنا إذا كان كذلك فإنه كلما زاد الفضل

كلما زادت التبعة لأن الله جل وعلا يؤاخذ الفاضل بما لا يؤاخذ به غيره , ويؤاخذ العالم بما لا يؤاخذ به من ليس بعالم , فالأمور إذاً بمقابلها هذا يُعظم التبعة على كلِ رافعٍ براية السنة والتوحيد ألا يتخلف عن التمسك بذلك أولاً ,ثم ألا ينسبَ أو ينسُب كلاهما صحيح . ألا ينسب إلى الإسلام والسنة ما ليس منه لأنه إنما يصفُ الطريق التي وصفها الله جل وعلا ووصفها رسوله ε وبين الله جل وعلا فضلها , إذا كان الله جل وعلا بين هذا الفضل العظيم فإنما يُعرف الطريق بدلائله من الكتاب والسنة لا بالأهواء ولا بإدعاء المدعين وإنما كل أحداً يصف ذلك بغير ما وصف الله جل وعلا به الإسلام والسنة أو وصفها به رسوله ε أو أجمع عليها السلف الصالح فإنه حين إذن يكون معارضاً فيما يقول . قال رحمه الله تعالى بعد ذلك .

وفي الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ε قال ((مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء)) هذا المثل يضربه عليه الصلاة والسلام لبيان أن هذه الأمة جاءت متأخرة وعملت قليلاً ولكنها حظيت بأجرٍ كثير فأعطى الله هذه الأمة قيراطين من الأجر , وأعطى من قبلها قيراطاً قيراط مع قصر مدتها وقلت حمليها وهذا فيه فضل الله جل وعلا على أهل الإسلام فيما شرعه من شرائع وفيما اختصه بهم من حيث الزمان ومن حيث المكان قوله عليه الصلاة والسلام ((مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل أستأجر أُجره)) يعنى المثل من جهة الزمن مدة العمل والأجر وعبر هنا عليه الصلاة والسلام بقوله كمثل رجل أستأجر أُجراء , والممثل به الله Ψ حيث هو الذي تعبد عباده بالعبادات وهو الذي يعطيهم الأجر , عبر بقوله كمثل رجلٍ لأنه في القرآن تمثيل الحقوق بحق الله جل وعلا وحق عباده ونحو ذلك بالرجل ومن يعمل عنده فقوله جل وعلا [**وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على**

صراط مستقيم] ونحو ذلك من الآيات التي فيها هذا التمثيل , فالتمثيل تمثيل حالٍ بحال , تمثيل عمل بعمل بما يقرب الأمر إلى سامعه .

الأمر الثاني : عند قوله أستأجر أُجرا الاستئجار هنا هل هو حقيقة في أن المثل مضروب على الاستئجار فعلاً وأن ابن آدم استأجره الله جل وعلا فجعل له أجراً على عمله أو أن هذا للتقريب وليست لحقيقة الأجر , المعتمد عند أهل السنة والجماعة في نظائره في الكتاب والسنة أنه على حقيقته وأنه أجر على حقيقة الأجر وهو ما يعطى من العِوض لقاء عملٍ من الأعمال والله جل وعلا يعطى عوضاً لقاء عملٍ , والله سبحانه هو الذي سماه أجرا , والنبي ε هو الذي سماه أجرا فلذلك هو أجراً على الحقيقة , أجراً في مقابلة عمل وليس التعبيرُ بالأجر أنه تعبير على المجاز أو أنه تعبير على التمثيل ليس كذلك بل هو أجرٌ على الحقيقة وهذا المثال فيه تقرير لذلك حيث قال كمثلِ رجلٍ استأجر أُجرا ومثل بأنهم يعملون في زمن وأعطاهم أجراً قيراطين قيراطين في هذه الأمة , وهذا هو حقيقة الأجر وهذا له فوائده الكثيرة في التفسير وفي فهم النصوص وفي مسائل عدة من مسائل الشريعة والعقيدة أيضاً قال عليه الصلاة والسلام كمثل رجلٍ استأجر أُجرا فقال من يعمل لي من غدةٍ إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين فأنتم هم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ما لنا أكثرُ عملاً وأقلُ أجرا قال : هل نقصتكم من حقكم شيئا قالوا : لا قال : ذلك فضلي أُتيه من أشاء . مناسبة الحديث للباب أن هذه الأمة اختصها الله جل وعلا من بين الأمم بفضل زيادة الأجر وهذا أحد أوجه تفضيل هذه الأمة على غيرها وأحد أوجه فضل الإسلام على هذه الأمة , فهذا في زيادة الأجر ومن أنواع الفضل الأخرى ما ذكر في الآية التي قبل أن الله جل وعلا يجعل للمؤمنين نوراً وأنه

يغفر لهم , وأيضاً مما جاء من الفضل في النصوص غير ما ذكر أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلال والمقصود بها أمة المؤمنين المستمسكين بما كان عليه النبي ε فإنها لا تجتمع على ضلال كما قال جل وعلا [**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**] فقال [**ويتبع غير سبيل المؤمنين**] وسبيل المؤمنين هو سبيل هذه الأمة التي لم تفترق ولم تتفرق في دينها أما الذين تفرق في دينهم شيعاً فهؤلاء ليسوا معدودين في الإجماع وقد جاء في الحديث ((لا تجتمع أمتي على ضلالة)) وهو مروى من طرق يحسنها يعنى بمجموعها عدد من أهل العلم في السنن وفي غيرها ودل هذا على أن المسلم يمكن أن يعصم نفسه من الضلال بأن يلتزم بما أجمعت عليه الأمة فمن التزم في العقيدة بما أجمعت عليه الأمة عند حلول الأقوال المختلفة والأهواء المتباينة فإنه على سبيل نجاة لأنه أخذ بالجماعة وأخذ بما أجمعت عليه الأمة وهذا مصدر نجاة بالاتفاق وأيضاً من أثارها على المسلم أن عدم اجتماع الأمة على ضلالة وأن الأمة إنما تجتمع على حقٍ وهدى لا على ضلالة أنه ييسر له سلوك السبيل والاستقامة مع من مشوا خلف طريق الجماعة قبل أن تفسد الجماعة لأن طرق تباينت والأمة اختلفت فإذا أراد المرء الطريق الحق فإنه يبحث عمن تمسك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد يعنى بما كانت عليه الجماعة إذ لم تجتمع على ضلالة إذ كان اجتماعها على حقٍ وهدى فهذا اقتداءٌ عملي باجتماعٍ على حقٍ وهدى كان فيما سلف والله جل وعلا عصم هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة كما ذكر , في الحديث أيضاً من المناسبة قوله في أخره قال ذلك فضلي أُتيه من أشاء وهذا الفضل هو من الله جل وعلا وإذا كان من الله جل وعلا فإن فضل الإسلام على أهله إنما هو من الله جل وعلا وهذا يجعل المسلم دائم التعلق بالله جل وعلا معرفةً منه بفضل ربه عليه في دينه هدايةً وفي أجره عليه فمن الذي هدى

عباده للإسلام هو الله جل وعلا , من الذي هداك للاستقامة على السنة هو الله جل وعلا . من الذي تفضل عليك بالنور بعد ذلك هو الله جل وعلا من الذي تفضل بالحظيين من الرحمة والكفلين من الأجر هو الله جل وعلا فحينئذ يكون الأمرُ من الله جل وعلا وإليه ابتداء وانتهاء وهذا يجعل قلب المؤمن موقناً على محبة الله جل وعلا والذل له والاعتراف له جل وعلا بالفضل والإحسان دائماً وأبدا وفي هذا القدر اليوم كفاية ونلتقي إن شاء الله غداً وقد يجرى تعديل في الموعد كما بلغني الأخ فهد بحسب ما يرتبون وأن رتبوا أن نكون غداً بعد العصر مباشرة صار كذلك أو إذا أرادوا أن نأخذ الفترة الثانية صار كذلك أيضاً إن شاء الله تعالى ونسأل الله لكم جميعاً الانتفاع بهذه الدروس عامة وأن ينفعني وإياكم بما سمعنا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمداً وعلى آله وصحبه أجمعين . قال رحمه الله تعالى : وفيه أيضا عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ε ((أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت , وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة , نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة وفيه تعليق عن النبي ε أنه قال : أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة وعن أبي بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قال : عليكم بالسبيلِ والسنة فإنه ليس من عبداً على سبيلٍ وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار , وليس من عبداً على سبيلٍ وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله

كمثل شجرةٍ يبس ورقُها فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها وإن اقتصاداً في سبيلي وسنة خيراً من اجتهاد في خلاف في سبيلي وسنة .

وعن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال ((يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ولا مثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم إن نسألك علماً نافعا وعملاً صالحا وقلباً خاشعا اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملا وأغفر لنا ذنوبنا إنك أنت الغفور الرحيم . أما بعد .....

فقد مرا معنا الكلام على الآيات التي ذكرها الإمام رحمه الله المجدد في صدر هذا الباب بل وفي صدر هذا الكتاب مما يدل على فضل الإسلام في نفسه وفضله على أهله , وفضل هذه الأمة وما حبا الله جل وعلا هذه الأمة بعامة , وما ميز به شريعة الإسلام من الفضائل , وبعد ذلك قال : وفيه أيضا يعنى في الصحيح عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ε ((أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة قوله هنا : وفيه أيضا يعنى في الصحيح وهذا عطف على الكلام الذي سبق حيث قال فيما سبق وفي الصحيح عن ابن عمر τ والعلماء يعبرون بقولهم وفي الصحيح خاصةً المتأخرين منهم وتارةً يعنون أنه يكونُ في الصحيحين معا , وتارة يعنون أنه يكون في البخاري وهو الأكثر , وتارة يعنون أنه في مسلم , وربما عطفوا واحداً على واحد ويكون أحدهم

البخاري , والثاني مسلم ولذلك لا يشترط في العطف أن يكون مخرج الحديث واحداً بل العطف على ظاهره في أن المراد أن يكون الحديث مخرجاً في الصحيح إما أن يكون في البخاري أو في مسلماً أو فيهما معاً وقوله هنا عليه الصلاة والسلام : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا بيانه أن الله Ψ ابتلى الأمم من قبلنا في يوم يتخذونه عيداً فأمرهم بيومٍ وأعماه ذلك اليوم عليه فاجتهدوا فيه , فاجتمعت اليهود وأجمعت على أن ذلك اليوم هو السبت وأخطئوا في ذلك ثم بعدهم النصارى أمروا بيوم يتخذونه عيداً يكون عيد الأسبوع ويجتمعون فيه فاجتمعوا على أن يكون يوم الأحد فأخطئوا في ذلك فأضل الله جل وعلا الأمتين من قبلنا عن اليوم الذي أختاره الله جل وعلا في علمه وهو يوم الجمعة , وهو يوم الجمعة وفي هذا دليل على أن الأمم من قبلنا قد تجتمع على غلط وتجتمع على خطأ حتى قبل التحريف وأن الله جل وعلا يُضلُ أمماً بمحض حكمته سبحانه وتعالى لما عملوه أو ليكون الفضل لغيرهم عليه , وهذا من الابتلاء الذي ظهر به فضل هذه الأمة وسابقتها مع كونها أمةُ متأخرةُ في الزمان وفيه إظهار فضل أمة محمد ε حيث إنها لا تجتمع على ضلالة , وظهر بذلك فضل هذه الأمة لما فضلها الله جل وعلا بالإسلام من جهتين : الجهة الأولى : أنه لم يترك لهم اختيار اليوم بل أمرهم به معيناً بخلاف من كان قبلنا . والجهة الثانية : أن الله جل وعلا أنعم على هذه الأمة بأنها لا تجتمع على ضلالة قد ذكرت لكم أمس أن هذا اللفظ لا تجتمع أمتي على ضلالة مرويٌ من طرق يشدوا بعضها بعضا وهي ضعيفة الأسانيد وبعضها شديد الضعف لكن يشهدُ بعضها لبعض مما جعل عدد من أهل العلم يُعدون في الأحاديث الحسنة فهذه الأمة خصت بعدم اجتماعها على ضلالة وبأن الله جل وعلا لم يكلها إلى نفسها بل بين لها الدين وأتم عليها النعمة كما قال جل وعلا [**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**] فهذه الأمة خصت بعدم

اجتماعها على ضلالة وبأن الله جل وعلا لم يكلها إلى نفسها بل بين لها الدين وأتم عليها النعمة كما قال جل وعلا [**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**] وكما سبق فإن دينا رضيه الله جل وعلا جملتاً وتفصيلا واجب على العباد أن يرضوههم إذ رضيه الله جل وعلا للعباد أن يدينوا به وأن يستسلموا له جل وعلا في هذا الدين قال : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا , فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد , فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة وهذا فيه أن قوله فهدنا ليوم الجمعة أن لفظ الهداية يعم ما كان عن اجتهاد , وما كان عن غير اجتهاد فالله جل وعلا هدا هذه الأمة فيما أمرها به , وفيما نهاها عن لأن هذا من الهداية العظيمة ألا توكل في أشياء كثيرة إلى أنفسها واجتهادها بل هداها الله جل وعلا بتفاصيل الأحكام وهذا من جملة ما يدخل في قوله عليه الصلاة والسلام ((فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة)) وفي قوله جل وعلا [**اهدنا الصراط المستقيم**] يعنى طلباً للهداية لتفاصيل الاستقامة على الصراط علماً وعملاً اعتقاداً وتصديقا . قال بعدها عليه الصلاة والسلام ((وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة)) وذلك أن هذه الأمة , أمة محمد ε تكون سابقتاً يوم القيامة فهذه الأمة متأخرة ولكنها يوم القيامة سابقة .

سبق الهلال البدر لكن لم يسر بالسبق بدرا

قال نحنُ الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة , نحن الآخرون من أهل الدنيا يعنى من جنس الأمم التي بعثت إليها الرسل فما من أمة إلا جاءها رسول كما قال جل وعلا [**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**] وقال جل وعلا [**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة**] فالأمم المتنوعة بعثت إليها الرسل لكن آخر أمةً هي أمة محمد ε توفي سبعين أمة من الأمم بعثت إليها الرسل في أجناسها

ولكن قد تبقى أثار الرسالة وأثار النبوة وقد لا تبقى بظلم من العباد وبصنيع العباد في أنفسهم بأن لم يستجيبوا لرسول فيوم القيامة يأتي النبي ومعه الرجل والرجلان , ويأتي النبي وليس معه أحد من قلة من استجاب له , وفي الحديث الصحيح ((أنتم توفون سبعين أمةً أنت أكرمها أنت خيرها وأكرمها على الله)) فقول نحن الآخرون من أهل الدنيا يحتمل أمرين : الآخرون من الأمم التي بعثت إليها الرسل من أهل الدنيا أو الآخرون يعنى الأمة التي ستبقى إلى قيام الساعة , فهي آخرةٌ يعنى ستكون متأخرةً على غيرها من الأمم يعنى من أهل الدنيا من جنس الأمم قال: والأولون يوم القيامة , والأولون يوم القيامة , يعنى أن أول الأمم تحاسب هي أمة محمد ε , وأول الأمم تستريح من هول الموقف هي أمة محمد ε وأول أمة تعبر الصراط هي أمة محمد ε لأن نبيها عليه الصلاة والسلام هو السابق إلى هذا كله وقد قال عليه الصلاة والسلام ((أنا أولُ من تفتحُ له أبواب الجنة)) وأمته عليه الصلاة والسلام على آثره وهذا من فضل الله جل وعلا على هذه الأمة أنهم متميزون في الدنيا مهديون معانون وهم في الآخرة أيضاً سابقون إلى الجنة وسابقون قبل ذلك إلى الاستراحة من هول الموقف , إذا تبين هذا فهذا الحديث فيه فوائد , الفائدة الأولى : أن الضلال قد يقع في الأمور الاجتهادية لقوله عليه الصلاة والسلام ((أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا)) وقد لا يؤاخذ المجتهد لكن يطلق عليه أنه أضل الصواب وفي القرآن أيضاً ما يدل على ذلك كقوله جل وعلا [**أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى**] وكقوله [**أ إذا ضللنا في الأرض أءنا لا في خلق جديد**] على أحد التفسيرين وهذا يعنى أن الضلال هو الذهاب عن وجه الصواب وقد يكون مع الآثم إذا قصر في الاجتهاد وقد لا يكون مع الآثم فليس كل وصف بالضلالِ يعد قدحا فيما فيمن وصف به ولهذا طائفة من أهل العلم يعبرون في المسائل التي يخطأ فيها من أخطأ يعبرون بأنه ضل في ذلك , أو

هذا ضلال مبين ونحو ذلك , ولا يعنى به أنه يأثم على ذلك أو أنه صار في ذلك على وفق هواه أو ما أشبه ذلك وإنما هي محتملة كما جاء في القرآن أنها تكون في النسيان والترك الذي عن غير قصد وتكون في الأمور الاجتهادية , وتكون أيضاً فيما يتركه المرء عن تقصيرٍ في ابتغاء الحق والسعي إليه .

الفائدة الثانية : يوم الجمعة اختلف العلماء فيه هل هو أول أيام الأسبوع أم هو أخرها , وجمهور أهل العلم على أن يوم الجمعة هو أول أيام الأسبوع , وأن السبت بعده وأن الأحد بعده واستدلوا لذلك بعدة أدلة منها أن منها هذا الحديث حيث قال : ((وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة)) في قوله ((وكذلك)) وفي رواية أخرى لهذا الحديث ((فنحن اليوم واليهود غدا والنصارى بعد غد) واستدلوا أيضاً لذلك بأن يوم الجمعة هو يوم عيد والعيد يكون أول الأيام ولا يكون أخرها يكون افتتاح الأسبوع ولا يكون أخر الأسبوع , وطائفة من أهل العلم قالت لا يوم الجمعة هو أخر أيام الأسبوع في بحث يطلب من مظانه لكن الشاهد هنا أنه حتى على هذا القول الذي قال به طائفة من أنه أخر أيام الأسبوع فلا يعارض أن يكون السبت بعده والأحد بعده باعتبار أنها ثلاث أيام متوالية فكان السبق لليوم الأول وهو يوم الجمعة وبعده اليوم الثاني وهو اليوم السبت ثم يوم الأحد فعلى كلاً من القولين فإن يوم الجمعة يسبق يوم السبت والأحد .

الفائدة الثالثة : أن هذا الحديث وهو موطن الشاهد لي المصنف فيه دليل على عناية الله جل وعلا بهذه الأمة ورفقه بها وعدم إضلاله لها بل أعانها ومنّ عليها حتى صارت سابقة للأمم في شعائرها في الدنيا وفي منزلتها وكذلك يوم القيامة وهذا من جملة ما يؤكد فضل الإسلام على أهل الإسلام في أن المسلم إذا التزم وأطاع الله جل وعلا فإنه يهدى ويعان ولا يترك لنفسه فكما أن هذه الأمة متميزة بأنواع التميز ومنها عدم إجماعها واجتماعها على ضلالة فإن غيرها من الأمم قد ابتليت بأشياء

كثيرة ومما ابتليت به كما سيأتي الأحبار والأغلال ومما ابتليت به أنها حملت ما لا طاقة لها به , ومما ابتليت به كثير من الأحكام في الطهارة والصلاة وأشباه ذلك مما عجزوا عنه حتى حرفوه وتنكبوا الطريقة الذي رضيه الله جل وعلا لها قال بعدها رحمه الله وفيه تعليقاً عن النبي ε أنه قال : ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)) يريد بقوله (وفيه) يعنى في الصحيح الذي عناه بقوله في الحديث الذي قبله وفيه أيضاً عن أبي هريرة وفيه تعليقاً يعنى في صحيح البخاري عن النبي ε أنه قال ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)) وقد ذكر البخاري رحمه الله هذا الحديث معلقاً في باب الدين يسر في كتاب الإيمان من أول صحيح البخاري وقوله المصنف فيه تعليقاً يعنى أن البخاري رحمه الله تعالى لم يصل إسناده وإنما علقه ولفظ التعليق من ألفاظ الاصطلاح اصطلاح أهل الحديث يريدون به أن المخرج للحديث ليس المخرج , أن المخرج للحديث أو الراوي للحديث من أصحاب الكتب يحذف ويسقط ما بينه وبين من علق عنه من الإسناد فيسقط عدداً من الرجال قد يسقط واحداً قد يسقط اثنين وقد يسقط ثلاثة وقد يسقط جميع الإسناد ويذكر منتهاه فيقول : وعن النبي ε أو قال النبي ε وأشباه ذلك لكن البخاري رحمه الله تعالى له طريقة في التعاليق أنه إذا جزم بالتعليق يعنى ذكره بصيغة الجزم كقوله قال أو كقوله عن أو حدث أو أشباه ذلك مما فيه صيغة الجزم , من بداية ما ذكر فإن هذا يدل على صحة إسناده عنده أو جودته عنده لكنه تقاصر عن رتبة شرطه , والبخاري له شرطٌ في الصحيح شديد ولهذا تقاصرت كثير من الأحاديث عنده عن شرطه فربما علق بصيغة الجزم كما فعل في هذا الحديث أنه علقه بصيغة الجزم وهو عن محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ε أنه قال : ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)) ومعلوم أن محمد بن إسحاق وصفه جمع من أهل الحديث وخاصة المتأخرين بأنه يدلس وأنه قد يسقط الواسطة بينه وبين شيخه لكن

داود بن الحصين ثقة وهو شيخ بن إسحاق في هذا الإسناد ومادام أن البخاري علقه بصيغة الجزم , فهذا يدل على صحة سماع محمد بن إسحاق لهذا الحديث عن داود بن الحصين لأنه من طريقة أصحابُ الصحيح أنه إذا صح عندهم التحديث في طريق من الطرق فإنهم لا يبالون اذكروا الإسناد وفيه التحديث أم ذكروه وليس فيه التحديث , وهذا مأخوذ من صحيح بن حبان بالتنصيص لأنه نص عليه في مقدمته ومن صنيع البخاري ومسلم وأشباهيهما بالاستقراء حيث تستقيم هذه القاعدة فيما يذكرونه , وهذا الحديث موصول عند البخاري في الأدب المفرد وفي كتب وعند الإمام أحمد وجماعة وإسناده جيد والعلماء صححوه وله شواهد مختلفة تدل عليه , قال : أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة , أحب الدين , الدين هنا ما المقصود به , هل الألف واللام فيه للجنس فيعنى فيه جميع الأديان يعنى أحب الأديان إلى الله , الحنيفية السمحة التي هي دين الإسلام , ودين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فيشمل حينئذ إذا كان في الألف واللام للجنس , يشمل جميع الأديان السابقة فيظهر بذلك فضل هذا الدين ومحبة الله جل وعلا له , الوجه الثاني : أن الألف واللام فيه هنا للعهد والدين المعهود هو دين الإسلام , فمعنى هذا الحديث على هذا التوجيه أحب الإسلام إلى الله الحنيفية السمحة , يعنى أحب خصال الدين الذي هو الإسلام إلى الله جل وعلا الحنيفية السمحة , فخصال الدين متنوعة , وأموره كثيرة وشرائعه متعددة فأحبها إلى الله جل وعلا الحنيفية يعنى ما كان على وفق السنة وكان سمحاً سهلا فالله جل وعلا لم يجعل ما يحبه من شرائع الإسلام في الأصار والأغلال أو فيما هو شديد على العباد بل أحبه إليه جل وهلا هو ما كان سمحاً وسهلا , إذا تبين ذلك فبحسب تقدير أو توجيه كلمة الدين يختلف معنى أحب فعلى المعنى الأول وهو أن الدين للجنس تكون أحب أفعل بمعنى مفعول , يعنى محبوب الدين إلى الله الحنيفية السمحة لأن الأديان التي سبقت بعد

ما جيء الإسلام ليست محبوبة لله جل وعلا ولا يرتضى Ψ من أحداً أن يدين بها بل لابد أن يدين بالإسلام فإذا كان كذلك فلا تقدر أحد بأنها أفعل على بابها بل يكون معناها محبوب الدين عند الله أو إلى الله وكون أفعل لا تكون على التفضيل هذا كثير في اللغة فإنها للتفضيل في أصلها لكن قد تكون لغيره في مواضع كثيرة كقول الله جل وعلا [**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقر وأحسن مقيلا**] يعنى خيرٌ مستقرً من أهل النار , لكن هل عند أهل النار خير , لا , وأحسن مقيلا يعنى أحسن مقيلا من أهل النار هل أهل النار يكون عندهم مقيلاُ حسن لا فيكون إذاً معنى قوله أحسن مقيلا يعنى حسنٌ مقيلهم وكذلك في قوله أحب الدين إلى الله هنا يعنى محبوب الدين إلى الله الحنيفية السمحة التي هي الإسلام , وعلى التوجيه الثاني : أن يكون الدين المقصود بها الدين المعهود وهو الإسلام يكون أحب على بابها يعنى أحب خصال الإسلام وشرائع الإسلام إلى الله جل وعلا الحنيفية السمحة , وهذا هو الذي فهمه البخاري حيث أورد الحديث في كتاب الإيمان ليدل على يسر الدين أولاً , وأن أيسر الدين أحبه إلى الله جل وعلا , وليدل على أن الأعمال من الإيمان كما هو معلوم في موضعه , قوله الحنيفية السمحة , الحنيفية في الأصل هي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وهي التي أوحي إلى محمد عليه الصلاة والسلام أن يتبع ملته كما قال جل وعلا [**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا * وما كان من المشركين**] والحنيفية مأخوذة من الحنف وهو الميل لأنها مالت عن جميع طرق الضلال إلى الطريق الذي رضيه الله جل وعلا مالت عن الشرك إلى التوحيد وقد يقال لها الملة العوجاء بمعنى الحنيفية يعنى التي فيها اعوجاج عن طريق الشرك يعنى ميل يعنى ميلاً عن طريق الشرك إلى طريق التوحيد وعن أهل الشرك إلى أهل التوحيد , والحنيفية إذا كانت بمعنى الميل فإنها قد تكون في العقيدة وهو الأصل والتوحيد , وقد تكون في الشريعة لأن العقيدة في باب العلم تحتاج إلى ميل عن

الغلط إلى الصواب , والشريعة في باب الأهواء والشهوات تحتاج إلى ميل عن طريق الشهوة إلى طريق الأتباع والاستقامة , قال السمحة , والسمحة يعنى الميسرة السهلة , وفي هذا الحديث مما أراد المؤلف رحمه الله أن الله جل وعلا منّ على هذه الأمة بأنه جعل دينها حنيفياً سمحاً سهلا بخلاف الأمم من قبلنا فقد ابتلاها الله جل وعلا بالآصار والأغلال كما قال جل وعلا [**ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**] وقال جل وعلا [**وما جعل عليكم في الدين من حرج * ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**] والله Ψ لما ابتلى الأمم من قبلنا بأنواع أحكام شديدة وصعبة وعسيرة فإنه جل وعلا خفف عن هذه الأمة حتى صارت سمة هذه الأمة وسمة هذا الدين أنه دين يسر وسهولة , وأن العبادات في هذه الأمة عبادات سهلة ميسرة , وصارت قاعدة من قواعد الشريعة أن الحرج مرفوع وأنه لا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة وأن المشقة تجلب التيسير حتى اختص الله جل وعلا هذه الأمة بأنها لا تؤاخذ بما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم كما جاء في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال ((إن الله تجاوز لأمتي يعنى خاصة هذه الأمة تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم , وهذا يدل على فضل الإسلام في نفسه أن من دخله والتزم به فإنه يحصل على ذلك الفضل العظيم في الثواب والنور والجزاء وفي دخوله في هذه الأمة وأن يكون هو الخير ومع ذلك أحكامه سهلة وأعماله سهلة ميسرة وسمحة بل أحب خصال الإسلام إلى الله جل وعلا الحنيفية السمحة فكل ما كان العمل المشروع أسهل فيما أمر الله جل وعلا به فإنه يكون أحب إلى الله جل وعلا , لكن هاهنا تنبيه وهو أن مسألة السهولة واليسر هذه مما تختلف فيها الأفهام فينبغي ضبطها بأنها يعنى السهولة هو اليسر التي يحبها الله جل وعلا بأنها على أحد وجهين , الأول : أنها منصوصةٌ في الشريعة في القرآن أو في السنة فإذا

كان العمل سهلا ميسورا منصوصا في الشريعة فإن هذا محبوبٌ إلى الله جل وعلا مثاله الإفطار في السفر , وقصر الصلاة في السفر لعلة السفر ولحكمة المشقة فإن الإفطار أفضل لأنه أيسر وإن القصر أفضل لأنه أيسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه , الوجه الثاني : أن يكون التيسير والسماحة التي حكم بها قد قررها إمامٌ أو عالمٌ مجتهد , يصلح الاجتهاد من مثله بتطبيق أصول وقواعد الشرع ومنها قاعدة المشقة تجلب التيسير أو الضرر يزال أو نحو ذلك من القواعد , فإذا كان الحكم اليسير جاء عن اجتهاد صحيح في تطبيق قواعد رفع الحرج فإن هذا يكون من الدين الذي هو أحب إلى الله جل وعلا من غيره , يعنى من التشديد ولهذا كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول : في معرض كلام له التشديد يحسنه كل أحد وإنما العلم الرخصة تأتيك من فقيه وهذا صحيح إذا كانت الرخصة أتت من فقيه بالنص وفقيه بالقواعد الشرعية فإن هذا مما يحبه الله جل وعلا ومما تميزت به وميز الله به هذه الأمة , إذا تبين ذلك فإن الناظر في أحكام الشريعة الإسلامية يجد أن أحكام الشريعة مبنيةٌ على السماحة واليسر والسهولة في الطهارة , وفي أحكام المياه , والآنية في أحكام الصلاة , وفي الزكاة , وفي الصيام والحج , وفي المعاملات وفي الاجتماعيات إلى آخره , كل هذه مبنية على اليسر والسهولة فكلما كان الأمر أيسر كلما كان أحب إلى الله جل وعلا , ومعنى ذلك أن العبد ينبغي له بل يحسن منه أن يحب الأيسر من الأمرين إذا عرضت له وهكذا كان عليه الصلاة والسلام فإنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما عليه الصلاة والسلام ما لم يكن إثما وهذا لأنه يحب ما يحبه الله جل وعلا , وأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة إذا تبين هذا فإن مراد المؤلف رحمه الله من إيراد هذا الحديث ذكر ما خص الله جل وعلا به هذه الشريعة وهذه الأمة والمسلمين بعامة وكل مسلم بمفرده من أنه مع كونه من الله جل وعلا عليه بذاك الفضل العظيم الذي ذكر فإنه إنما يحصل عليه بعمل يسيراً سهل وبأحكام

ميسرة وهذا مما يرغب العقلا جميعاً في أن يدخلوا دين الإسلام ويرغب أهل الإسلام في أن يلتزمُ بأحكامه وشرائعه لأنه كل ما ازدادوا التزاماً وطاعةً بالحنيفية السمحة كلما كان أجرهم أعظم وكلما كانت محبة الله جل وعلا لهم أبلغ , وهذا الذي ذكر يشمل يعنى في السماحة واليسر يشمل الأحكام العملية ويشمل أيضاً الأمور العلمية الاعتقادية فإن اليسر والسهولة في الأمور العلمية الاعتقادية ظاهر لأن الإسلام دين الفطرة , والإسلام ليس فيه تعقيدات كلامية ولا مباحث فلسفية لا يفهمه بها إلا خواص الناس بل كل أحد يفهم الإسلام بعبارات سهلة إذا شرح له معنى التوحيد وبينة له بعض الأحكام فإنه يفهم الإسلام , وأما ما أحدث في هذه الأمة من الأقوال المتفرقة والتفصيلات مما يسمونه جليل الكلام ودقيق الكلام أو ما يسمونه بالفلسفة الإسلامية أو التعقيدات التي لا تصلح لجمهور الأمة فإن هذا بلا شك مما يجزم أنه ليس مما يحبه الله جل وعلا لأن أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة وهذه المسائل المعقدة التي لا يفهما إلا الخواص بمقدمات كثيرة متنوعة هذه ليست مما يدخل في السماحة ولا في اليسر ولذلك صار لا يعتقدوا تلك الاعتقادات على تفاصيلها التي يقول بها المتكلم وأرباب البدع لا يعتقدوها إلا خواص العُلماء ولكن إذا سألت عامت الناس هل تعتقد كذا لم يدرى ما يقول أو أجابك بما في النص لهذا يخطأ بعضهم في أنه يزعم أن أكثر الأمة اليوم وما قبل اليوم أنهم أشاعرة مثلاً في الاعتقاد أو الماتريدية أو أكثر الأمة على نحو كذا هذا غلط لأن هذه المذاهب إنما هي عند العلماء على تفاصيلها , والعامة أكثر ما تجد عندهم الفطرة وأكثر ما تجد عندهم ما دل عليه الدليل إذا علموه , وأما تفاصيل المسائل العقدية الأشعرية أو الماتريديه , وتفاصيل المسائل الكلامية أو المذهبية على أي مذهب هذه تحتاج إلى تعليم فإذا علمها لقنها وحفِظها وإذا لم يعلمها فإنه سيرجع إلى ما يسمعه في الكتاب أو في السنة وإلى ما يتلوه من القرآن وهذا مجرد ظاهر لهذا

نقول إن الذي يناسب الناس هو الحنيفية السمحة , الذي يناسب الناس في الدعوة وفي البيان إنما هو فطرة الإسلام والتوحيد الذي لا يلتبس بالأقوال والتفريعات الكلامية والفلسفية والخرافية التي لا يفهمها الناس إلا بتعليم وصدق رسول الله ε إذ يقول : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه إلى آخر الحديث)) وهذا مهم في المنهج في منهج الدعوة ومنهج العمل في أنه يفرق في الدعوة ما بين العامة وما بين خصوص المنحرفين من علماء الفرق والذين درسوا على مذهب معين فإن العامة قد لا تجد عندهم تلك الأقوال وإن وجدت عندهم قولاً لا تجد عندهم تفاصيل المذهب إذا سألت أحداً مثلاً من عامة الناس في أي بلد مما إذا كان فيه مذهب أشعرية أو مذهب ماتريدية أو مذهب قدرية أو معتزلة أو إلى أخره , إذا سألته في مسائل القدر فإنه يجيب لك يجيبك بما يقتضيه الفطرة بأن الإنسان مخير وأنه غير مجبور ولذلك يعمل لأنه لم يعلم غير ذلك , والفطرة تقتضي هذا وإحساسه في داخله يقتضي ذلك كذلك إذا أتيت في مسائل الإيمان وسألت أحداً من عامة الناس ممن لم يعلم تفاصيل مذاهب المرجئة في الإيمان هل العمل من الإيمان سيجيبك الجميع كما جرب نعم العمل من الإيمان , وكذلك إذا أتيت في مسائل الصفات الله جل وعلا هل استوى على العرش فإن نقول نعم الله جل وعلا يقول [**الرحمن على العرش استوى**] إلا إذا علم بالتأويل إلا إذا لقن وحذر فإنه حين إذن ينتقل عن فطرته إلى شيء آخر , ولهذا من المهم في منهج الدعوة أن يقرب للناس ما تستقيمه ما يستقيمه مع فطرهم ومع يسهل عليهم في الاعتقاد وفي العمل , فالحنيفية السمحة سمة الإسلام عقيدة وشريعة وينبغي أن تكون سمة الدعاة إلى الإسلام عقيدةً وشريعة , قال رحمه الله بعدها وعن أبي بن كعب τ قال : ((عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبداً على سبيلاً وسنة ذكر الرحمن ففاضة عيناه من خشية الله فتمسه النار , وليس من عبداً على سبيلاً وسنة

ذكر الرحمن فقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها فبينما هي كذلك إذا أصابتها الريح فتحات عنها ورقها إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها , وإن اقتصاداً في سبيلاً وسنة خيراً من اجتهاد في خلاف سبيلا وسنة , هذا الأثر رواه عبد الله بن المبارك في كتابه الزهد , والإمام أحمد أيضاً وأبو نعيم في الحلية ووقع غلط في إسناده في الزهد اعبد الله بن مبارك وصححه من الحلية والمقصود : من هذا الأثر أن منهج الصحابة رضوان الله عليهم والحث على لزوم السبيل والسنة , وبيان فضل الاستقامة على السبيل والسنة , ويعنى بقوله عليكم بالسبيل والسنة الزموا السبيل والسنة والسبيل المراد به سبيل محمد ε وسبيل صحابته رضى الله عنهم وهو المذكور في قوله جل وعلا [**وأن هذا صراط مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلي**] وهنا وحد الصراط فقال [**وأن هذا صراطي مستقيما**] فجعله صراطاً واحداً وهو السبيل الواحد وهو الذي يجمع أمور الإسلام على تفاصيلها وأمور السنة على تفاصيلها وأما السبل الأخرى والأهواء فعلى كل سبيل منها شيطان يدعوا الناس إلى دخوله وهاهنا سؤال معروف وهو أن الله جل وعلا قال في أخر سورة العنكبوت [**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * وإن الله لمع المحسنين**] فهنا جمع السبل وفي آية الأنعام وحد الصراط وهنا في أثر أبي وفي غيره من الأحاديث والآثار يفرد السبيل فهل بين هذا تعارض ؟ الجواب لا الباب بابٌ واحد ولكن السبيل المقصود به سبيل الإسلام والسنة وهذا في داخله فيه تفاصيل وفيه سبيل الصلاة وفيه سبيل الزكاة وفيه سبيل الصلة وفيه سبيل أعمال القلوب التي تصلح القلب وفيه سبيل كذا وكذا مما يحتاجه الناس تفصيلاً في أمور دينهم ومما يكون عليه أحوالهم في العبادة العلمية والعملية , وفي عمل القلب وعمل الجوارح فيكون إذاً جمع السبل في قوله [**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**] المقصود منها تفاصيل السبل

وهي كلها سبيل واحد وصراط واحد دل عليه قوله [**اهدنا الصراط المستقيم**] ودل عليه قوله [**وأن هذا صراط مستقيم**] ودل عليه قول النبي ε (0 عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) ودل عليه أيضاً قول الله جل وعلا [**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**] ولقد أحسن العلامة بن القيم رحمه الله إذ قال في تقريره هذا

فلواحد كن واحداً في واحدٍا عني سبيل الحقِ والإيمانِ

فلواحدِ يعنى لله المقصود والمعبود له وحده جل وعلا قصداً وإرادة وتوجهاً ورغباً ورهباً لواحدٍ Ψ وتقدست أسمائه كن واحداً أنت في قصدك وإرادتك وتوجه قلبك لا تتشعب عليك الأوهام في قلبك ولا في سلوكك بل كن واحداً أنت في واحدٍ يعنى في يعنى في سبيلٍ واحد قال بعدها أعني سبيل الحق والإيمانِ وهو سبيل السلف الصالح وهذا مما يعُز على كثيرٍ من الناس أن يضبط قلبه عليه أو أن يلزم نفسه به فإنه في الأول فلواحدٍ قد يقصد الله جل وعلا بعمله وقد يأتي مرة أخرى ويقصد غير الله جل وعلا إما الجاه وإما الدنيا أم رؤية الناس ونحو ذلك من الرياء والسمعة وقل من يسلم من أنواع الشرك الخفي قال كن واحداً يعنى أنت لا تتشعب في قصدك وإرادتك فأجمع قلبك وإرادتك وهي التي يسميها أهل السلوك الجمعية على الله جل وعلا فأجمع قلبك وإرادتك في الله جل وعلا ولا تلتفت عنه جل وعلا في قصدك وإرادتك وعملك إلى غيره , واجعل الأمور التي معك وسائل لجمع قلبك على الله جل وعلا في واحدٍ وهذا الابتلاء الثالث أنه ليس ثم إلا سبيلٌ واحد وهذه صعبة إلا على من وفقه الله جل وعلا فكم من الناس في أكثر من سبيل في سبيلٌ هنا وفي سبيلٌ هناك إما من جهة الاتباع وإما من جهة المنهج أو من جهة الاستقامة أو من جهة الاعتقاد ونحو ذلك فإن تنجو منها تنجوا من ذي عظيمةً وإلا فإني لا أخالك

ناجياً , قال τ هنا عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار , يريد بذلك أن الفضائل التي جاءت في الأحاديث إنما يحظى بها من كان على السبيل والسنة فقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح ((عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله , وعين باتت تحرص في سبيل الله)) فيبين τ هنا أنه إنما يحظى بهذا الفضل من كان على السبيل والسنة , قال ((فإنه ليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الرحمن فتمسه النار , وليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرةٍ يبس ورقها إلى أخره)) يعنى أن الذنوب تحاتت عنه وهذا كما جاء في الحديث ((لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة)) فإن هذا فضل الذكر وأنه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل ذبد البحر , ومن قال سبحان الله وبحمده إلى أخر ما ورد في الأذكار إذا ذكر الله جل وعلا بأنواع الأذكار من الأحق بالفضل العظيم الذي جاء فيها وهو الموعود به هو من كان على سبيل وسنة قال : ((ليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنة ذكر الرحمن إلى أخره)) فإن هذا يدل على عِظم شأن التزام المنهج الذي خص الله جل وعلا به نبيه ε فإنه جل وعلا جعل لكل نبي شرعةً ومنهاجا , والمنهج الذي خص به عليه الصلاة والسلام هو السبيل والسنة , وهو الذي كان عليه صحابته عليه الصلاة والسلام واتباع الصحابة وتابعوهم إلى يوم الدين , ولهذا لما اشتبهت الطرق واختلفت السبل , وتنوعت الآراء والأفهام والأهواء من قديم كان الناجي من رجع ببصره وبصيرته وقلبه إلى ما قبل حدوث تلك الفرق والأهواء وهو الزمن الذي اجمع فيه المسلمون على العقيدة وعلى السبيل والسنة وهو زمن الصحابة رضوان الله عليهم قبل حدوث

الاختلاف فإن الصحابة رضوان الله عليهم ليس فيهم من ابتدع بدعة وليس فيهم من أحدث حدثاً بل إنما أحدث الحدث وابتدع البدع من أتى بعدهم وإنما هم نجاهم الله جل وعلا فكانوا نجوماً يهتدى به , لهذا نقول لك إن من الأمور المهمة التي تقرر في مثل هذا أن يحرص المؤمن على النجاة فإنه ما استقام ولا جاهد نفسه ولا ترك ما ترك من الشبهات والشهوات والرغبات واللذات في هذه الدنيا إلا وهو يريد وجه الله جل وعلا , إلا وهو يريد النجاة , إلا وهو يريد السلام , فإذا كان يريد ذلك فليأخذ بالطريق المضمون وهو التزام السبيل والسنة لأنها غير هذا الطريق من طرق الأهواء والسبيل والسنة هي الجماعة , ما هو السبيل والسنة ؟ هو ما كانت عليه الجماعة , لهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) قالوا : من هي يا رسول الله , قال : هي الجماعة , وقد سئل الإمام أحمد وجماعة من أهل العلم سئلوا من هي الجماعة قال : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم , يعنى أن أهل الحديث في زمنه هم أحق الناس بهذا الوصف لأنهم لزموا ما كان عليه الصحابة قبل الاختلاف ولزموا الأثر , ولم يأتوا بعقولٍ ولا اجتهادات في الدين في العقيدة , ولا في أصول الشريعة ولا في التلاقي و الدليل , بل كانوا متبعين غير مبتدعين , لهذا قال إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم , والإمام الترمذي رحمه الله لما ذكر هذا الحديث قال : الجماعة هم أهل العلم , والعلم المحمود هو قال الله وقال رسوله قال الصحابة : هم أولوا العرفاني , العلم المحمود هو العلم النافع الذي يخالف الرأي بل هو العلم الذي يكون مستنداً إلى دليلاً وأثر وإذا كان كذلك فإنه يريد بهم من كان على هذا النهج , ولهذا أجمعت العلماء على أن أئمة الإسلام يقتدي بهم , أعني أئمة أهل الحديث كمالك والشافعي وأحمد والبخاري رحمه الله وكسفيان الثوري وسفيان بن عيينه كالأوزاعي ونحوهم ونعيم والدارمي ومن نحى نحوهم ممن كتبوا عقيدة المسلمين

ودونوها فأخذها العلماء من بابهم , والسبيل والسنة كما أنه يكون في المسائل العلمية فإنه يكون في المسائل العملية , فالبدع بأنواعها مبطلة لأنها لم تكن على السبيل والسنة وكل صاحب بدعة أحدثها فيقال له هل كان عليها الناس في زمن الرسول ε هل كان عليها الناس في زمن الصحابة فإنه سيجيب جزماً لا . لكن سيقول ولكن كذا وكذا , فإذا لم يكن عليها الناس في ذلك الزمن فنعلم أنها ليست على السبيل والسنة وتذكرون أن مما ذكر في قصة انجلاء المحنة في زمن , يعنى بعد زمن الإمام أحمد رحمه الله تعالى في الفتنة بخلق القرآن لما أتى أحد العلماء يناظر عند الخليفة أظنه المتوكل لما أتى يناظره المتوكل أو الواثق يناظر داعيه إلى البدعة إلى القول بخلق القرآن , قال له يريد المناظرة قال له أبدأ أو تبدأ فقال له المبتدع : أبدأ أنت فقال : هذا الذي تدعو الناس إليه , هل دعا إليه رسول الله ε وابتلى الناس به فقال المبتدع : أقلني فأقاله , ثم قال له ارجع إلى السؤال ربما اشتبهت عليه القصة بعض الشيء , لكن هذا مختصر سياقها , قال هذا الذي تدعو الناس إليه هل دعا إليه أبو بكر الصديق τ , ثم قال هل دعا إليه عمر , ثم قال هل دعا إليه عثمان ثم قال هل دعا إليه علي رضى الله عنهم فقال هل دعا إليه الصحابة فكان الجواب : أنهم لم يدعو إلى هذا فقال هذا العالم للخليفة في زمنه قال : شيءٌ لم يدعو إليه رسول الله ε ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا صحابته تدعو أنت الناس إليه فلم يزل يردد هذه الكلمات حتى أمر برفع الفتنة بالقول الزام الناس بالقول بخلق القرآن وابتلاء من ذلك , المقصود من هذا أن هذا الأصل عظيم ويحرج كل من سلك سبيلاً من سبل البدع في المسائل العلمية أو في المسائل العملية , هل كان عليه الزمن الأول فإذا قال لا , فيقال لسنا بحاجة إليه دعنا مع ما كان عليه الناس في الزمن الأول فإنه كافً قال τ بعدها وإن اقتصادٍ في سبيل وسنة خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيل وسنة وذلك أن الله جل وعلا يبارك في قليل العمل إذا كان على

سبيلٍ وسنة إذا كان على وفق السنة فإن الله يحب العمل , ويحب صاحبه ويثيبه ويبارك له وينمي له عمله , وأما إذا كان على غير سبيل وسنة فإن حينيئذ تكون محدثات وبدع فيؤاخذ عليها ويكون عاصياً لله جل وعلا بها ومتبعاً غير سبيل النبي ε ومتبعاً غير سبيل المؤمنين فيكون مهما عمل من الأعمال الكبيرة فإنها على غير هدىً , والله جل وعلا لا يأجره على ما أفسد فيه , وإنما يأجرُ من أصاب في عمله , وهذا منه رضى الله عنه دليل عظيم على وجوب التحري , تحري السنة في الأعمال , وعلى وجوب معرفة العلم بأنواعه في مسائل التوحيد وفي مسائل العمل لأنه ما ضل من ضل في هذه الأمة إلا باتباعه غير السبيل والسنة في مسائل العقيدة وفي مسائل العمل , ومراد الإمام المصلح رحمه الله بإيراد هذا الأثر واختياره له في هذا الباب أن الإسلام الصحيح وهو السبيل والسنة والالتزام بما كان عليه السلف الصالح والإسلام الذي هو في القرآن والسنة وكان عليه الصحابة أن الالتزام بذلك يبارك الله جل وعلا لصاحبه في العمل وإن كان قليلاً , ويضاعف له العمل وإن كان قليلاً , بهذا يضاعف الله جل وعلا الحسنة للمسلم بعشر أضعافها إلى سبع مائة ضعف يعنى إلى عشرين ضعفاً إلى ثلاثين ضعفاً إلى مائة ضعفاً إلى مائتين إلى سبع مائة ضعف , أيضاً إلى أضعافٍ كثيرة , قال العلماء : اختلف التضعيف في العمل باختلاف صواب العمل ويقين صاحبه وعقيدته , فإنه كل ما كان اتبع ظاهراً وباطناً كل ما كان التضعيف أكثر , فلا يستوي من اقتصد في سنة مع من خالف وأتي بعبادات كثيرة , وجهاد عظيم لكنه على غير سبيل وسنة , لأن السبيل والسنة بها يضاعف الله جل وعلا أجور الأعمال إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فربما ترى هذا وهذا , هذا يعمل عملاً قليلَ , وذاك يعمل عملاً كثيرا , ولكن من عمل العمل القليل أعظم عند الله جل وعلا ممن عمل العمل الكثير لأن ذاك صاحبه إخلاص ويقين وسنة وحسن قصد ورغب ورهب إلى أخر ما يضاعف الله

جل وعلا به الأجور , وقد سئل أبو بكر بن عياش شعبه القارئ المعروف عن أبي بكر الصديق τ فقال : ما سبقهم أبو بكراً بكثرةٍ صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه الصحابة هل هم مثل من بعدهم , أتي من بعدهم من هو متعبد عبادات كثيرة وعظيمة لكن تختلف المنزلة عند الله بأن التضعيف مختلف لأن ما في القلب مختلف ولأن صواب العمل في ظاهره مختلف , وقد سئل الحسن البصري رحمه الله أيضاً وهو الزاهد العالم المعروف لما كان الصحابة أفضل مع أن من التابعين من هم أكثر منهم عبادة , فقال رحمه الله أولئك تعبدوا والآخرة في قلوبهم , وهؤلاء تعبدوا والدنيا في قلوبهم , وهذا صحيح فإن الله جل وعلا لم يبتلى الناس بكثرة العمل , ولكن ابتلاهم بحسنه [**ليبلوكم آيكم أحسن عملا**] صلاة الفجر ركعتان لكنها أفضل من صلاة الظهر وهكذا فإن قلة العمل لا يدل على كونه مفضولاً بل قد يكون العمل القليل من صاحبه أعظم من العمل الكثير , وهذا هو الذي يدل عليه قوله هنا ((وإن اقتصادً في سبيل وسنة خيرً من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة)) قال بعدها وعن أبي الدرداء τ قال : ((يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ولا مثقال ذرة من برٍ مع تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين أبو الدرداء τ كان حكيم هذه الأمة , وكان كثير التفكر كما قالت أم الدرداء عنه : كانت أكثر عبادة أبي الدرداء التفكر والتفكر أمره عظيم لأنه يحدث في القلب الوجل والعلم واليقين وهذه كلها عبادات مرضية عند الله جل وعلا ومن تأمله وتفكره في ملكوت الله وفي الإسلام وصواب الأعمال والاستقامة على السبيل والسنة أن قال ((يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم) يعنى أنه يقول إن العبد قد يكون ينوم في الليل , ويفطر في النهار يعنى ليس بكثير صيام نفلٍ , ولا بكثير صلاة ليل , بل يستمتع بالليل نوماً ويستمتع بالنهار إفطاراً فيما كتب الله جل وعلا له من النوافل

ولا يشق على نفسه في أنه مثلاً يصوم يوماً ويفطر يوماً بل يكفي أن يصوم مثلاً ثلاثة أيام من كل شهر أو الاثنين والخميس أو على ما جاء , وفي الليل يأخذ القليل ولا يطيل لكنه مع ذلك معه تقوى خوف من الله جل وعلا ومعه يقين إيمان صادق قوى كامل والتزام وعقيدة صحيحة متيقنة لا شبهة فيها ولا شك قال : إن هذا أفضل ممن يأتي بأمثال الجبال عبادة ولكنه من المغترين بكثرة عبادته بأنواع العبادة أو المغترين بجهاده أو بأمره بالمعروف أو بنهيه عن المنكر ومغترين ببذله أو بدعوته أو بحركته أو إلى أخره لكنه ليس على سبيل وسنة فإنه فاق الأول هذا الآخر ولهذا قال ولمثقالُ ذرة يعنى أقل القليل من بر يعنى من عملٍ صالح متيقن على سبيل وسنة مع تقوى مع خوف من الله جل وعلا لأن الله جل وعلا يقول في وصف عباده وخاصة عباده [**والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إليه راجعون**] أثنى عليهم بذلك يعطون يصلون القليل أو الكثير بحسب ما كتب الله لهم يتصدقون يدعون يأمرون بالمعروف ينهون عن المنكر ينصحون لكن قلوبهم وجلة أنهم إليه جل وعلا راجعون مع تقوى ويقين , اليقين هو الصدق في الاعتقاد والصواب فيه والقوة في الإيمان وعدم التردد والشبه فيه قال : مثقال ذرة من بر مع هذين الشرطين الخوف واليقين أعظم وأفضل , أعظم أولاً , أفضل وأرجح عند الله من أمثال الجبال عبادة من المغترين , وهذه الكلمة من فقهه العظيم رضى الله عنه وأرضاه وهكذا كان طريق الصحابة رضوان الله عليهم على هذا بهذا وصف النبي ε الخوارج بأنه يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فليست العبرة بكثرة العبادة أو بكثرة الجهاد أو بكثرة كذا وكذا أو بكثرة الدعوة العبرة هل هذا موافق للسبيل والسنة أم ليس بموافق فإن كان غير موافق فإنه ولو كان أمثال الجبال فإنه لا نفع فيه أو أن غيره انفع منه , هذا الأثر رواه الإمام أحمد في الزهد وأبو نعيم في حلية الأولياء بإسناد لا بأس به ويظهر بهذا فضل

الإسلام الصحيح وفضل السبيل والسنة وفضل متابعة الجماعة الأولى وأن أصحاب ذلك إذا التزموه فإن الله جل وعلا يبارك لهم في قليل أعمالهم وينميها لهم ويكون عملهم أعظم وأرجح وأفضل ممن يكثر ولكنه على غير السبيل أسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمداً وعلى آله وصحبه أجمعين . قال رحمه الله تعالى : باب وجوب الدخول في الإسلام وقول الله تعالى [ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين] وقوله تعالى [إن الدين عند الله الإسلام] وقول الله تعالى [وأن هذا صراط مستقيم فاتبعوه ولا تتبع السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية ...] قال مجاهد السبل البدع والشبهات , وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ε قال : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) أخرجاه وفي لفظ ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) وللبخاري عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ε ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) قيل ومن , قيل ومن أبي قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي , وفي الصحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ε قال : ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحداً في الحرم ومبتغً في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهري قدمه رواه البخاري قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قوله سنة الجاهلية يندرج فيها كل جاهلية مطلقةً أو مقيدة أي في شخص دون شخص كتابيةٍ أو وطنيةٍ أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون وفي الصحيح عن حذيفة τ قال : يا معشر القراء استقيموا فإن

استقمتم فقد سبقتم سبقاً بعيدا فإن أخذتم يمين وشمال فقد ضللتم ضلالاً بعيدا , وعن محمد بن وضاح أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول فذكره وقال : أنبئنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروقٍ قال قال عبد الله : يعنى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (ليس عامُ إلا والذي بعده أشر منه لا أقول عامُ أمطر من عام , ولا عامُ أخصب من عام , ولا أمير خيرُ من أمير لكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدثُ أقوامُ يقسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً يا أرحم الراحمين . اللهم هب لنا من لدنك سلطاناً نصير وهيئ لنا من أمرنا رشدا إنك رحيم ودود

.....وبعد .

فهذا هو الباب الثاني في كتاب فضل الإسلام